Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 1 | Issue 1 Article 1

1997

Are in the Arab Heritage Foundations for Modern History Methodologies? (A Plea to Re-read Heritage Books)

Saleh Al-Daradkah
Jordanian University, Jordan, SalehDaradkah@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arts and Humanities Commons, Education Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Al-Daradkah, Saleh (1997) "Are in the Arab Heritage Foundations for Modern History Methodologies? (A Plea to Re-read Heritage Books)," *Jerash for Research and Studies Journal* مجلة جرش للبحوث والدراسات: Vol. 1 : Iss. 1 , Article 1.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol1/iss1/1

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

هل في التراث العربي أسس لمناهج التاريخ الحديثة ؟

(دعوة لإعادة قراءة كتب التراث)

أ. د. صالح موسى درادكه

قسم التاريخ / الجامعة الاردنية

رئيس هيئة تحرير مجلة جرش للبحوث والدراسات

رئيس لجنة المتابعة لندوة اقسام التاريخ في الجامعات العربية

Al-Daradkah: Are in the Arab Heritage ?Foundations for Modern History ?Methodo

هل في التراث العربي أسس لمناهج التاريخ الحديثة ؟

(دعوة لإعادة قراءة كتب التراث) *

(د. صالح درادكه)

ملخص

يعالج هذا البحث محاولات المؤرخين العرب ، في بناء منهج لدراسة التاريخ في العصور الاسلامية الاولى . وذلك لأن الدراسات الحديثة في الغرب لا تولي التجربة العربية الاسلامية العناية التي تستحقها ، حتى أصبح مصطلح المنهج ، وقفاً على المناهج الغربية المعاصرة .

ودلل البحث على أن المنهجية المعاصرة للتاريخ أغرقت بالفلسفة ، وبدلاً من أن تكون الفلسفة علماً مساعداً للتاريخ اصبح التاريخ علماً مساعداً للفلسفة . ولا يدعي البحث بأن علماء المسلمين في التاريخ قد انتهوا من وضع منهاج كامل لدراسة التاريخ ، إلا أنه يشير الى الاسس التي وضعها هؤلاء العلماء ، ولو استمر البناء عليها لسبق المسلمون غيرهم في وضع المنهج التاريخي بين أيدي الدارسين .

ولإبراز غاية الدراسة ، اعتمد الباحث نقولاً من المصادر العربية الاولية ، واقوالاً لعلماء في المناهج الحديثة .

Abstract

This study deals with the Arab historians , attempts to establish a methodology to study history in the Islamic periods . This study was mainly undertaken because modern studies in the west do not give the Arab Islamic tradition the attention it is worthy of to the extent that the term " methodology " looked as though it were purely western .

The study shows that the contemporary methodology for history has been overshadowed by philosophy . Hence one would expect philosophy to be a science that helps history , not vice versa . Although the study dose not claim that Moslem scholars of history , yet it indicates the bases that such scholars have laid . The study maintains that if Moslems had continued building on such bases , then moslem scholars would have proceded others in providing scholars with the historical methodology . to achieve the objectives of this study , the researcher has mainly drawn on some quotations from Arabic primary sources and statements of scholers of modern methodologies .

* قدم هذا البحث في الندوة الأولى لقسم التاريخ في جامعة سوسه ٨ – ١٠ ديسمبر ١٩٩٤ .

Published by Arab Journals Platform, 1997

إنني اشعر بقيمة ما قاله آكتون (Acton) في تقريره في شهر أكتوبر عام ١٨٩٦م ، المرفوع الى هيئة موظفي مطبعة جامعة كمبرج (cambrige) حول العمل الذي انيط به ليقوم بتحريره .

قال : " إنها لفرصة فريدة أن تدون وبالطريقة التي تعود بالفائدة على أكبر عدد خصوبة المعرفة التي يوشك القرن التاسع عشر تسليمها ، ... وباتباع الحكمة في تقسيم العمل ينبغي علينا ان نكون قادرين على إنجاز ذلك ، وأن نبسط أمام كل شخص آخر وثيقة ، وأنضج النتائج التي توصل اليها البحث الدولي .

لا يمكننا نحن في هذا الجيل أن نحصل على التاريخ النهائي ، ولكن بإمكاننا التصرف بالتاريخ الاصطلاحي – الذي يتفق مع القواعد المقررة – وإظهار النقطة التي وصلنا اليها عبر مسارنا من نقطة لأخرى ، بحيث تكون كل المعلومات في متناولنا وتصبح كل مشكلة قابلة للحل ". (١)

وقد عقب البروفيسور سير جورج كلارك على رأي آكتون بعد ٦٠ عاماً في مقدمته العامة للكتاب الثاني من تاريخ كمبريدج (Cambridge) قائلاً : " إنه سوف يكون بالإمكان تقديم " التاريخ النهائي " في يوم ما " (٢) .

والآن بعد قرن تقريبا من قول آكتون (Acton) ، هل تحققت الغاية وقدم التاريخ النهائي ، اعتقد أن الأمر ليس كذلك ، وانه ليس بالإمكان التكهن بزمن ما لتقديم التاريخ الذي اراده آكتون .

(1) The Cambridge Modern History , Its Origin , Auther ship, and production , Cambridge univ. press , 1907 . pp 10 - 12 .

(2) The New Cambridge Modern History , (1957)p.p 24 - 25 .

إننا كلما زعمنا بأننا تقدمنا خطوة في المنهج التاريخي ، لا نلبث أن نعود إلى البدايات لتلمس أول الطريق ، حيث يمنع سيرنا ضباب الإرتباك والشكوكية والتيارات المتقاطعة ، فنعود للسؤال ما هو التاريخ ؟

عرف التاريخ منذ نشأته الأولى في اليونان باسم تسجيل الاخبار (Logographi) ولم تكن كلمة التاريخ اي (Historia) (H) قد استخدمت ، لأن اصل استخدامها انما يعود الى كلمة (Histor) أي المحقق التي تعني المحقق القضائي . ولم تستخدم كلمة (Historia) الا في فترة تقدم ورقي الكتابة التاريخية في أيام هيرودوت . أما التاريخ أو علم تدوين التاريخ فيعرف باسم (Histrio - Graphie) (١) .

وفي التعميم الشائع اصبحت كلمة التاريخ الآن تعني ، ماضي الانسانية وهذا ما تشير اليه الكلمة الالمانية الدالة على لفظ تاريخ وهي : (Geschichte) المشتقة من الفعل (geschehen) ومعناه " يحدث " ، فكلمة التاريخ في اللغة الالمانية معناها ذلك الشيء الذي حدث (٢) .

وبناء على هذه المقدمة السريعة لا يزال الجدل في مدى الوعي التاريخي قائما بين العلماء . ونجد في تعريف التاريخ أن هذه اللفظة " التاريخ " . تطلق أحياناً على الماضي البشري ذاته ، وتارة على الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواته وأخباره، أو العلم المعني بهذا الموضوع ، ويظهر أن الذهن البشري ينتقل عفواً بين المعنيين دون تمييز دقيق بينهما ، وعلى الرغم من كل الاجتنهادات التي قامت للفصل بين المعنيين ، فلا يزال هذا اللبس قائماً ، ولعله شعور أصيل في الانسان الارتباط الدقيق بين معرفة الماضي والماضي ذاته (٣) .

---

(١) حسان حلاق ومحمد منير سعد الدين ، المناهج العلمية في كتابة الرسائل العلمية ، بيروت المحروسة للطباعة والنشر ، ط٢ ، بيروت – لبنان ١٩٩٤ ص ١٢ .

(٢) لويس جوتشلك ، كيف نفهم التاريخ ، ترجمة عائدة سليمان عارف واحمد أبو حاكمة ، دار الكاتب العربي ١٩٦٦ ص ٥٦ .

(٣) قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٣ ص ١٤ .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

وخلاصة القول ان الخلاف لا يزال قائما حول تعريف التاريخ ، وهذا واضح في اختلاف معاني الالفاظ الدالة عليه في اللغات الأوروبية الحديثة . وقد قدم لنا السير تشارلز فيرث شيئا نبني عليه تصوراً لمعنى التاريخ في الغرب بقوله : " التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ، ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الانسانية ، وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللظروف المادية التي ساعدت او عاقت تطورها " (١) .

وهذا التعريف اوسع بكثير مما قد تنتظره من مؤرخ قديم الطراز من القرن التاسع عشر .

وعليه فان التاريخ يكون سجلاً لحياة الناس في بيئاتهم الجغرافية والطبيعية والاجتماعية ، يسجل كل انشطتهم السياسية والاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية وكذا الظواهر الدينية والثقافية والاجتماعية ، أي انه تصوير شامل لحياة المجتمع جماهيره وافراده ، منازعاته وأخطائه ومآثره وتنظيماته ، وكل ما يتعلق بمحيطه الحيوي كما يحلو لأرنولد توينبي أن يسميه " (٢) .

ولا شك ان السياسة تلعب الدور الأول في توجيه الأحداث وعلى هذا يكون التاريخ السياسي هو العمود الفقري للتاريخ ، والتواريخ الكبرى – مثل تيوسيدس – وجيبون – ومكولي – كلها تواريخ سياسية .

ومن المشكلات التي تثار حول ميدان التاريخ ، كونه محليا او اقليميا او عالميا ، واذا راجعنا قائمة كتب التاريخ المدونة في الغرب نجد منها ما هو محلي ، ومنها ما هو اقليمي ، ومنها ما اقتصر على التاريخ لظاهرة واحدة من المجتمع المحلي ، كالاقطاع ، والاقتصاد ، والتعليم ... الخ .

ومنذ القرن التاسع عشر ظهرت الحاجة الى كتابة تاريخ عالمي ، باعتبار ان الرؤيا لا تكتمل ان لم تعالج الاحداث برؤيا عالمية ، فكتب رانكي " تاريخ العالم

(١) أ. ك . راوس ، التاريخ اثره وفائدته ، ترجمة مجد الدين حفني ناصف ، الهيئة العامة للكتب ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٦ .

(٢) مقدمة كتاب دراسة التاريخ .

Al-Daradkah: Are in the Arab Heritage ?Foundations for Modern History ?Methodo

كما كتب هـ . ج. ولز مختصر تاريخ الانسانية ، وكتب أرنولد توينبي ، تاريخ البشرية ، وهكذا .

وكما اختلف في تعريف التاريخ وفي ميدان عمله ، اختلف المعنيون في مناهجه ، فلا يزال مؤرخوا الغرب ينطلقون في تفسيرهم لحوادث التاريخ منطلقات شتى وهي فروقات قائمة في كل قطر من أقطار العالم ، وعكس اختلاف الثقافات بين المؤرخين، فقد يطغى مذهب المؤرخ وميوله وأهدافه على تفسيره للتاريخ ، مما أظهر قضية جديدة مفادها ، هل التاريخ نتاج المؤرخ أم تاريخ من يؤرخ لهم ، وبعبارة أبسط كيف نبعد الدوافع والرؤى الذاتيه للمؤرخ في كتابة التاريخ ، وهل ينجح كل المؤرخين في بعث الماضي كما هو ، أم كما يريدون ؟!

وهنا بدأ الحديث عن الموضوعية التاريخية ، وعن السببية ، والتعليل ، والتحليل، وأخذ علماء عصرنا يستفيدون من العلوم الاخرى وما انتجته من قوانين وأنظمة ، ودار الجدل ولا يزال حول اعتبار التاريخ من العلوم الاجتماعية باعتبار ان ميدانها هو الانسان وما يقوم به من نشاط مع بني جنسه ومحيطه . ويرى آخرون ان لا بد من الفلسفة لتعليل أحداث التاريخ ، بينما يدافع آخرون عن استقلال التاريخ ، ويخشون من ان انفتاحه على كل هذه العلوم سيفقده شخصيته.

لقد جرت جهود جادة للاجابة عن سؤال " ما هو التاريخ " وجاءت التحديات الأولى لمذهب أولوية واستقلالية الحقائق في التاريخ من المانيا ، ويعتبر (ديلتاي) من اصحاب الفضل في افساد النظام الليبرالي القوي الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر .

وفي مطلع هذا القرن انتقل المشعل الى ايطاليا حيث شرع كروشيه (Corce) بتقديم فلسفة للتاريخ ، والتي كانت مدينة الى حد كبير بالطبع ، الى الاساتذة الالمان . وقد اعلن كروشيه بأن التاريخ بأجمعه هو " تاريخ معاصر " وهو يعني بذلك ان التاريخ يتألف بصورة اساسية من رؤية الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشاكله ،أن عمل المؤرخ ليس التدوين وانما التقويم [1] .

(1) Croce , The Theory and History of Historiography 1915 .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

لقد جاءت الحقائق لتبهر انظارنا وتدفع عقولنا للمراجعة المستمرة ، وتدفعنا ايضا الى معرفة اسهامات الاخرين في مجالات العلوم الانسانية ، وفي نفس الوقت استيعاب تجارب المؤرخين الذين سبقونا . فلا شك ان كولينغوود الفيلسوف والمؤرخ في اكسفورد والمفكر البريطاني الذي ساهم مساهمة جدية في فلسفة التاريخ في العصر الحاضر ، كان قد تأثر كثيرا بكروشيه .

ويمكن تلخيص اراء كولينغوود كما يلي : ان فلسفة التاريخ لا تهتم بأي من "الماضي في ذاته ، او بتفكير المؤرخ حول الماضي بذاته ، وانما بالأمرين معا في علاقتهما المتبادلة " (ان هذا الرأي يلقي الضوء على المعنيين الراهنين لكلمة تاريخ، التحري الذي يجربه المؤرخ وسلسلة حوادث الماضي التي يتحرى من خلالها)" . ان الماضي الذي يقوم المؤرخ بدراسته ليس بالماضي الميت ولكنه بمعنى ما ماض لا يزال يعيش في الحاضر " ، بيد أن ما جرى فعلا في الماضي هو فعل ميت ، اي لا يعني بالنسبة للمؤرخ شيئا ما لم يفهم الفكرة التي تكمن خلفه . من هنا فان التاريخ بكامله هو تاريخ الفكر والتاريخ هو اعادة تمثل الفكر في ذهن المؤرخ للتاريخ قيد الدرس . ان اعادة تشكيل الماضي في ذهن المؤرخ هو أمر يتوقف على الدليل التجريبي [١] .

بيد انه لا يعتبر عملية تجريبية في ذاته ولا يستطيع ان يتوقف على مجرد سرد للحقائق . وعلى العكس من ذلك فان عملية اعادة التدوين كحكم هي عملية اختيار وتأويل للحقائق . وهذا بالتأكيد هو ما يجعل هذه الحقائق تاريخيه ، يقول البروفسور او كشوت الذي يلتقي كولنغوود عند هذه النقطة : " التاريخ هو تجربة المؤرخ ، وانه ليس من صنع أحد باستثناء المؤرخ ، وكتابة التاريخ هي الطريقة الوحيدة لصنعه " [٢] .

---

(1) Colingwod , Idea of History , 1945 .

انظر ادوارد كار ، ما هو التاريخ ص ٢٢ .

(2) M. Oakeshott ; Experience and its Modes , p. 99 .

وانظر ملاحظات و. هـ . وولش ، في كتابه مدخل لفلسفة التاريخ ، ترجمة احمد حمدي محمود ومراجعة محمد بكير خليل ، حول المؤلفات في الفلسفة النقدية للتاريخ وكذلك ما الف في الفلسفة التأملية للتاريخ ص ٢٣٣ – ٢٣٦ .

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol1/iss1/1

ان هذه القضايا وغيرها لا تزال قائمة وتعيق عمل المؤرخ ، ومع هذا يجدر القول ان الدراسات التاريخية في الغرب قد قطعت شوطاً طويلا على طريق التقدم ، فقد اصبحت مراحل بناء البحث التاريخي واضحة تماماً ، واليك نموذجاً منها :-

١- اختيار الموضوع .

٢- حصر الاصول والوثائق وتحديد قيمتها .

٣- جمع المعلومات ونقدها وتحليلها .

٤- اثبات الحقائق التاريخية وترتيبها وتوثيقها وبيان مصادرها ومن ثم عرضها باسلوب شيق .

٥- الملاحق والفهارس وجريدة المصادر والمراجع ، وثبت محتوى الموضوعات .

ان اصحاب المذاهب والمناهج التاريخية في العصور اليونانية والرومانية والاسلامية وفي العصور الحديثة اتبعوا عدة وسائل وقواعد في كتابة التاريخ ، لا يزال بعضها مستخدما حتى الان ، وهي على سبيل المثال لا الحصر :

١- المشاهدات العينية .

٢- جمع المواد التاريخية من مصادرها الاصلية .

٣- تسخير العلوم الاخرى لعلم التاريخ وفنه .

٤- الاعتماد على الرحلات والبيانات .

٥- معرفة فقه اللغة " علم الفيلولوجيا " (philology) اذ لا بد للمؤرخ من معرفة وفهم النصوص التاريخية ، ولغة العصر الذي كتبت فيه .

٦- معرفة الاثار ودلالاتها، كالنقود،والاختام ، والفخار ومخلفات الانسان الاخرى .

٧- دراسة وتحليل السجلات المختلفة ، الشرعية منها وغير الشرعية ، الكنسية والاسلامية ودفاتر الاراضي وما يتعلق بعقود الملكية .. الخ .

ان العالم اليوم يشهد ثورة معرفية هائلة بما توفر له من امكانات مادية وتكنولوجية ، واصبح للتاريخ مختبراته شأنه شأن بقية العلوم التجريبية ، فمن ينكر دور كربون ١٤ في تقدير الازمان المدروسة ، ومن ينكر الدور الكبير الذي اصبح

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

يلعبه الحاسوب في الدراسات التاريخية وفي نفس الوقت اصبح هدف اكثر المهتمين في الغرب هو ما وراء التاريخ ، وليس التاريخ ذاته .

اما فيما يختص بالوعي العربي للتاريخ وعوامل ظهوره وتدوينه فلها قصة طويلة، فكلمة خبر التي استعملها العرب في صدر الاسلام لمعنى التاريخ تعود جذورها الى اللغات السامية ، وتعني الربط والتقييد وفيها معنى البحث والفحص ومعنى الاخبار ايضا . وقد تأخرت كلمة تأريخ حتى ظهرت واستخدمتها الاقلام العربية الاسلامية ، ولئن اضطربت تفاسير اللغويين لاصل هذه الكلمة وشكّوا في عروبتها حتى اعطوها اصلا فارسيا هو " ماه روز" وقالوا أنها حرفت عنه (١) . والارجح ان جذرها " ورخ " هو جذر ضارب في العربية القديمة في اليمن ، وليس مأخوذا من (يرح) او ياريح) العبرية او السريانية كما ورد في الموسوعة الاسلامية . ومعناها الاول هناك هو القمر او الشهر ، وعلي اية حال فان هذه الكلمة لم تستخدم الا بعد ظهور التاريخ الهجري في عهد عمر بن الخطاب (٢) . ويبدو من استعمالها في صدر الاسلام انها كانت تحمل خمسة معان على الاقل هي :-

١- سير الزمن والاحداث اي التطور التاريخي ، تقابل كلمة (The History) وتعني ما يفهم من كلمة التاريخ الاسلامي او تاريخ ايطاليا .

٢- تاريخ الرجال او ما يقابل (The Biography) .

٣- عملية التدوين التاريخي او التأريخ ووصف التطور وتحليله وهي التي تقابل كلمة (Historiography) .

٤- علم التاريخ والمعرفة به ، وكتب التاريخ وما فيها وهو ما يقابل كلمة (The History) المفردة .

---

(١) انظر حمزه الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (طبعة مكتبة الحياة – بيروت – دون تاريخ) ص ١٢ .

(٢) انظر تفاصيل معنى كلمة تاريخ واصولها في :

فرانز روز نثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح احمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ١٩٨٣ ، ص ١٦- ٢٥ .

Al-Daradkah: Are in the Arab Heritage ?Foundations for Modern History ?Methodo

٥- تحديد زمن الواقعة او الحادثة باليوم والشهر والسنة (The date) [١] وهذه المعاني لا بد وان مرت بادوار عدة قبل ان تستقر ، وليس هنا مكان تفصيل ذلك . ان مشكلة نشأة التدوين التاريخي عند العرب لم تحل بصورة جذرية ، فبين الروايات الشعبية الاسطورية التي وردتنا عن بلاد العرب قبل الاسلام وبين التواريخ العلمية الدقيقة نسبيا التي تظهر في القرن الثاني الهجري هوة واسعة لم تلق بعد لها تفسيراً مقنعاً [٢] .

ولعله من المهم ان نلاحظ ان اقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب احداث لا تراجم بخلاف الرأي الذي ذكره روزنثال في هذا الصدد ، فقد كتب عوانه بن الحكم الاخباري الكوفي المتوفى سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م ، او ١٥٨هـ/ ٧٧٥ م . كتابا عنوانه : كتاب التاريخ ، تناول فيه احداث القرن الاول الهجري ، وهو اول كتاب يصل الينا يحمل هذا الاسم (تاريخ) في الاسلام . ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ايضا كتابا عنوانه : كتاب التاريخ ، وكتابا بعنوان اخبار الخلفاء . وكتب في الوقت نفسه الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الاشراف الكبير .

واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت و احتلت عناوين العشرات من الكتب في القرن الثالث الهجري . ويبدو ان كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع ان بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات . وبالرغم من ان تسمية الطبقات استمرت وانتشرت ، الا ان تسمية الامام البخاري (محمد بن اسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) مثلت مزجا نهائيا ما بين علم التراجم والاحداث في علم واحد [٣] .

---

(١) انظر شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ٢ ج ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج١ ، ص ٥٠- ٥١.
(٢) هـ . جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، الترجمة العربية ، دار العلم للملايين بيروت ص ١٤٣ .
(٣) شاكر مصطفى ، المرجع السابق ص ٥٢ .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

ان الافكار التي تثيرها كلمة تاريخ العربية لا يمكن ان تطابق ما في كلمة (History) في الغرب وليس لها من صلة الا من جهة الاشتقاق ، يضاف الى ذلك ان القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ المرتبطة بالفلسفة الحديثة لم تكن معروفة على الاقل في مفهوم التاريخ في صدر الاسلام بالرغم من الرابطة الآلية بين التعبيرين (١) .

على ان المؤرخين المسلمين ادركوا منذ وقت مبكر الحاجة الى النظر والتحليل في الخبر واقتربوا كثيرا من فلسفة التاريخ ، وان كان روز نثال لا يرى ذلك ، فهو يقتبس من اقوال المؤرخين المسلمين ما يخدم فكرته عن علم التاريخ عند المسلمين حيث يقول :" وحتى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وهما قرنان متأخران نسبيا ، ... فان تعريفات المؤرخين المسلمين المختلفة لا تكشف اية بصيره فلسفية عميقة . فابن خلدون يقول ان التاريخ : " اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول " (٢) ، ويعرف المقريزي غرض التاريخ بأنه " الاخبار عما حدث في العالم في الماضي " (٣) . اما الكافيجي فيقول : واما علم التاريخ فهو علم يبحث عن الزمان واحواله ، وعن احوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته " (٤) . أما السخاوي فيقول عن التاريخ :" واما موضوعه فالانسان والزمان ومسائله احوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للانسان وفي الزمان (٥).

لا يمكن لنا الادعاء بان المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى ، فلسفوا التاريخ الى الدرجة التي بلغتها فلسفة التاريخ الحديثة ، الا ان الواجب يدعو ان نشهد لهم بالتمهيد لما وصلت اليه الدراسات الحديثة ، وان روزنثال في جريه وراء التفاصيل الدقيقة للمعاني اللغوية ، واختياراته الانتقائية لاقوال بعض المؤرخين قد لا يعكس الحقيقة التاريخية ولا تنسجم مع اراء العديد من مشاهير المؤرخين الغربيين الذين قرروا ان التاريخ من اهم ميادين المعرفة التي اهتم بها العرب ،

(١) ف . روزنثال ، علم التاريخ ص ٢٥ .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) روزنثال ، المرجع السابق ص ٢٦.

Al-Daradkah: Are in the Arab Heritage ?Foundations for Modern History ?Methodo

وتدارسوها ، والفوا فيها ، بدوافع عديده تعود الى طبيعتهم واحوالهم ، وحرصهم على الانساب وقصص الماضين والوقوف على اخبار الاباء والاجداد ، واحاديث الايام . ولما جاء الاسلام تزايدت عوامل الكتابة التاريخية وتوسع مفهوم التاريخ ، لما حمله الاسلام من حوافز لقراءة الماضي واستخلاص العبر منه : " ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى " . وكانت النزعة الانسانية هي النزعة السائدة في الدراسات التاريخية ، وازداد هذا الاتجاه عمقا مع الاسلام الذي كرم الانسان الذي خلقه الله في احسن تصوير ، وان هدم الكعبة – اقدس مكان في الاسلام – اهون على الله من سفك دم امرئي بريء .

وقد وصف كل من بروكلمان ، وهاملتون جب ، وبار تولد ، وسوفاجيه بحوث المؤرخين المسلمين بالنزاهة العلمية والتحري والصدق والاعتماد على المصادر الاولية [1] .

ظهرت المؤلفات التاريخيه العربية في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي على يد مجموعه من المؤرخين ثم تطورت الكتابة التاريخيه كما سيتبين من استعراض نماذج منها :

فكتاب ابن عبد الحكم ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م ، فتوح مصر والمغرب . يصنف في التواريخ المحليه او الاقليميه ، واتبع الموضوعات في كتابه مخالفا بذلك سنة مؤرخي الحوليات ، كما نقل معلوماته عن مصادر مكتوبه منها : مخطوطات يحي بن عبد الله بن باكير والواقدي وابن لهيعه ، والليث وغيرهم .

يؤخذ علي ابن عبد الحكم انه يأخذ باسناد الرواية الى صاحبها دون مناقشتها او تحليلها ، كما اكثر من سرد الاساطير التي تعود الى ما قل الاسلام ، وهي صفة لحقت اكثر مؤلفات هذا العصر ، ويذكر له في مجال المنهج انه كان يورد

(١) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٦ – ٨ .
ولمن اراد التفاصيل في موضوع عوامل الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين فليرجع الى : شاكر مصطفى ، المرجع السابق ج١ ، ص ٥٧ – ٧٣ .
(٢) حسان حلاق ، المرجع السابق ص ٣٣٩ – ٣٤٢ .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

الرواية والرواية المخالفة ، فقد ذكر الروايات التي تقول بفتح مصر صلحا وتلك التي تقول فتحت عنوة .

ادرك ابن عبد الحكم اهمية التاريخ المقارن فاعتبر انه لا يمكن دراسة تاريخ مصر منفصلا عما جاورها من الاقاليم (فتوح مصر المغرب) .

ومن اعلام القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) احد رجال البلاط العباسي ، كتب عددا من الكتب وصل الينا منها : فتوح البلدان وانساب الاشراف ؛ وتوصف مؤلفاته بالثقه ، واصبحت المصدر الاساسي للتواريخ والموضوعات . اعتمد الاسناد والمحدثين والرواة والمشاهدات العينية . بدأ كتابه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفا من سبقه ممن بدأوا تواريخهم بقصة الخلق وتواريخ الانبياء . وثق البلاذري معلوماته من خلال المقابلات والاسانيد والرواة ، ومن خلال نشره نصوص المراسلات والمعاهدات ، ويسر وجوده بالبلاط الاطلاع على المستندات الرسميه للدولة .

مزج البلاذري بين العرض والتحليل للمعلومات احيانا ، وانفتح اكثر من سابقيه على العلوم الاخرى مثل العلوم الجغرافية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاداريه والطبيعية في كتابة التاريخ .

اما ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) فقد فاق غيره في جمع الاصول وبذل جهداً جباراً لجمع معلوماته بدقة متناهية ، ونظراً لاهمية العمل الذي قام به اطلق عليه " شيخ المؤرخين المسلمين " .

استفاد الطبري من معرفته بالادب والحديث والفقه والتفسير والشعر والسير للتاريخ ، ورفض ان يكتب بناء على طلب الامراء والخلفاء .

خط الطبري منهجا جديدا في الكتابة التاريخية وبذلك مهد لمن جاء بعده من المؤرخين من امثال المسعودي ومسكويه وابن الاثير وابن خلدون . تعرض الطبري للنقد بدوره لانه عرض الاحداث دون ان يقوم بتحليلها : لكن كتابه بما تضمنه

(١) جب ، المرجع السابق ص ١٥٦.

Al-Daradkah: Are in the Arab Heritage ?Foundations for Modern History ?Methodo

من وقائع تاريخيه نادرة ومعلومات قيمه ونصوص وخطب ومعاهدات اصلية ، سيبقى اشمل كتاب للتاريخ عند العرب والمسلمين .

ويعد المسعودي (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) من اعظم المؤرخين العرب ، اذ تبني عنصرا جديدا ادخله في تدوين التاريخ ، ويمكن تعريف هذا العنصر بانه الرغبة في المعرفة من اجل المعرفة ذاتها ، ولم يكن المسعودي مؤرخا فقط بل كان رحالة ايضا مما وسع افقه واغنى تجربته . واستمر الربط بين التاريخ والجغرافيا حتى خلال الفترة العثمانية .

اصبح تدوين التاريخ السياسي منذ القرن الرابع الهجري مهمة الموظفين والمقربين من البلاط ، وقد احدث هذا تغييرا في الشكل والموضوع .

وفي مؤلفات الفترة ما بين القرنين الثالث والسادس نجد ان الاسناد اقتصر فيها على اشارة موجزة الى المصدر بل ان المصنفين المتأخرين استغنوا في الغالب عنه ، وفي هذا النوع من التأليف تعدل المفهوم الديني القديم وجنح التاريخ الحولي الى تركيز الاهتمام على اعمال الحكام ورجال بلاطهم [١] واصبحت الدراسات العملية والوثائقية من سمات هذه الفترة .

ويمكن ادراك ذلك من فهم مسكويه (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٩ م) للتاريخ من خلال تسمية كتابه " تجارب الامم " وهو مصطلح تفرد به ، كما اعطى كتابه صفة العالمية "الامم " وهو ما ذهب اليه ابن الاثير (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) من بعده .

يدرك مسكويه اهمية عمل المؤرخ وخطورته بقوله : " فهو ليس من اجل استجلاب النوم ولا الاستمتاع بأنس المستطرف من الاخبار " ، فهو يريد ان يقف على التجربة الانسانية من خلال نشأة الدول وتطورها ثم اضمحلالها وسقوطها ، وكأنه بذلك يمهد الطريق لابن خلدون من بعده ، في اكتشاف قوانين حركة التاريخ .

ومسكويه ينتقي اخباره محكما العقل فيها ، فلا يذكر المعجزات " لان اهل

(١) انظر جب ، المرجع السابق ص ١٥٩ (ذكر ان المفهوم الديني قد استبعد وهذا ما لم يحصل وانما عدلت صورته) .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

زمانه لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلون من امورهم " . لا يقف مسكويه عند الاخبار السياسية بل يتطرق الى الاوضاع الاقتصادية والادارية ، ويحاول تعليل اسباب الفساد .

تناول تاريخ البهيقي (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) اخبار الدولة الغزنويه بشيء من التفصيل والتوسع والتوثيق والاعتماد على النصوص الاساسية المعاصره ، والتي توصل اليها من خلال تجربته في العمل الوظيفي ، فجاء عمله مزيجا بين اسلوب المؤرخ والسياسي والاداري والادبي .

اقتصر البيهقي في تأريخه على احداث عصره لذلك يعد كتابه كسبا علميا باعتباره معاصر ومشاركا في الاحداث لكونه من كبار رجال الدولة ، اتسمت معالجاته بالشمول فمزج بين التاريخ والاجتماع والاقتصاد ، كما لم يقم منهجه على السرد التاريخي بل كان مؤرخا محللا وباحثا سياسيا فهو يعرض الحدث ويبدي رأيه ثم يعلق عليه ثم يضيف اليه رأي الوزير ورئيس الديوان ، ومن الملاحظ انه كان يهتم برد فعل الجمهور علي الحدث او على موضوع معين .

لم يكتف البهيقي بالوثائق والنصوص التي كانت تمر من بين يديه ولم يكتف بالمشاهدات ، بل اعتمد ايضا علي بعض المصادر الاساسية لسد الثغرات التاريخية التي كتب عنها . (١)

كان البيهقي مؤرخا شجاعا بعيدا عن الأهواء لم يمنعه مركزه في بلاط السلطان من ان يوجه النقد اليه والى كبار رجال الدولة في بعض الاحيان .

يوجه البيهقي كل حواسه لفهم الحدث فتراه يقول :" يعرض القلب ما يتصل به من العلم على العقل الذي هو الحكم العدل ليميز الحق من الباطل ، فيستقبل الثمين ويرفض الغث ، وهذا هو حرص الناس على سماع او مشاهدة ما لم يعرفوا او يسمعوا عنه من احوال واخبار الزمان ما كان منها قد مضى او ما هو آت ... "

(١) حسان حلاق ، المرجع السابق ص ٣٦١ - ٣٦٤ .

ويذكر البيهقي منهجه في تاليف الكتاب فيقول :" واني اذ عزمت علي تدوين هذا التاريخ التزمت تدوينه هذا الرسم (اي المنهج) فهو اما عن مشاهدتي او استماعي لثقه .. " .

اقترب ابن خلدون كثيرا من المناهج الحديثه في التاريخ ، وانتقل من الواقعه الى الحقيقه التاريخيه ، وركز عنايته على التعليل كما اجتهد في اكتشاف القوانين التي تحكم حركة التاريخ ونلخصها بالامور التاليه :-

١- قانون السببيه او العلة وهو من المبادىء الفلسفيه المعمول بها لربط العله بالمعلول.

٢- قانون التشابه اي قياس الماضي على الحاضر ، فالظروف المتشابهة تنتج وقائع متشابهة .

٣- قانون التطور:اي ان الامور تتطور بتبدل الازمان والاحوال وان قانون التشابه ليس مطلقا .

٤- قانون المطابقة : ويعني به النظر للوقائع والاخبار في ضوء العقل والطبع السليم فما كان منها معقولا ادخلناه في دائرة الامكان وما كان غير معقول ادخلناه في دائرة الاستحاله وقلنا ببطلانه .

ومهما كانت قيمة الماخذ عليه فقد عد موسسا لفلسفة التاريخ ومبشرا بالمنهج النقدي لدراسة التاريخ . (١)

ونعرض في خاتمة المطاف للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م) في مؤلفه " الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ " ، واحسب ان اهمية الكتاب تبدو من عنوانه ، فهو رد على الذين يقدحون بالتاريخ ، كما يعكس الوضع الثقافي العام الذي عاشته مصر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين .

تجلت مواهبه ومقدرته بسرعة مدهشة واجاز له الكثيرون من شيوخه ، بل اجازوا له الافتاء ولما لم يبلغ العشرين بعد (٢) يمثل السخاوي نهاية حقبه عظيمه من البحث التاريخي ، اثمرت كتابا شاملا ورائعا لعلم التاريخ الاسلامي .

---

(١) لم ارغب في التوسع بالحديث عن ابن خلدون لكثرة ما كتب عنه .

(٢) اسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، اسماء المؤلفين واثار المصنفين من كشف الظنون ، المجلد السادس ، دار الفكر ١٩٨٢م ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٣) انظر ترجمة السخاوي لنفسه في كتابه : الضوء اللامع . وانظر ايضا محمد عبد الله عنان ، مؤرخو مصر الاسلاميه ، ومصادر التاريخ المصري ، مؤسسة مختار ، القاهرة ، ص ١٢٨ .

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 1 [1997], Iss. 1, Art. 1

ومع ان السخاوي لم يكن الاول في مجال التأريخ لعلم التاريخ عند المسلمين الا انه أول من صنف علوم التاريخ وعدد اسماء الكتب في كل صنف بشكل واسع .

عرف السخاوي التاريخ : بانه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت عما كان في العالم ".

اما موضوع التاريخ عند السخاوي فهو الانسان والزمان ومسائل احوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الاحوال الموجوده للانسان وفي الزمان .

اما فوائد التاريخ في نظره دينية ودنيويه ، فالتواريخ وذكر السير راحة للقلب واجلاء للهمّ ، وتنبيه للعقل ، فانه ان ذكرت عجائب المخلوقات دلت على عظمة الصانع وهو بهذا يكرر بعض ما ذكره ابن الاثير في فوائد التاريخ .

اما غاية التاريخ فالترجي لرضا الله ، فانه لا يضيع اجر من احسن عملا ، والاعمال بالنيات .

وحكم التاريخ في نظر السخاوي يأتي من باب النصيحه الواجبه ، وعند ابي تراب النخشبي انه افضل من الصوم والصلاه ، قال تعالى : "وقل الحق من ربكم".

فالمؤرخون مقاصدهم مختلفة ، فمنهم من اقتصر على ذكر الابتداء ، او على الملوك الخلفاء ، واهل الاثر يؤثرون ذكر العلماء والزهاد يحبون احاديث العلماء ، وارباب الادب يميلون الى اهل العربية والشعراء ، ومعلوم ان الكل مطلوب والجميع محبوب وفيه مرغوب " .

وخلاصة القول ان السخاوي الف كتابه من وجهة نظر دينيه ، وقدم للمؤرخين خدمة جليله ، وان عمله جاء مقدمة لما فعله بروكلمان في تاريخ الادب العربي ، وفؤاد سيزكين في تاريخ التراث العربي ، بالطبع مع بعض الفوارق بفعل تقنيات العصر الحديث .

وقد شدد السخاوي على الشروط الواجب توفرها للمؤرخ كالعداله والضبط والاتقان " ، كما رتب اسماء المؤرخين على ترتيب حروف المعجم ابتداء من ابراهيم بن عبد العزيز بن يحي الكاتب،وانتهاء بمن تبدأ اسماؤهم بآخر حروف الابجدية،

ويذكر كتب كل واحد اذا وجدت .

ان هذه المراجعة السريعة لابراز خصائص الكتابه التاريخيه عند العرب والمسلمين يقصد بها التذكير بمدى وعي العرب للفكر التاريخي وادراكهم لاثره واعظامهم لفوائده وتفريقهم ابتداء بين الواقعه التاريخية والحقيقه ، وفاق العرب غيرهم في التحري والصدق واشترطوا في الراوي العدالة والضبط ، وكم نقرأ عن بعض الرواة في كتب التراجم القول : " هذا لا يؤخذه بخبره " و " هذا مجرب عليه الكذب " وهذا " يروي الغرائب " الى غير ذلك .

وفي مجال المنهج النقدي الذي هو شعار المدرسة التاريخيه الحديث ، نجد العرب منذ نشوء مدرسة المغازي ، استخدموا جملة معايير لمعرفة صدق الراوي والرواية ، وكان السبق في هذا المجال لرجال الحديث الذين ابتكروا علم العلل ، واخترع التاريخ " الزمن " لفحص الروايه ، فقد قال سفيان الثوري (١٦٢ هـ/٧٧٨م) لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ . ويحي بن معين (٢٣٣هـ/٨٤٧م) صاحب التاريخ هو نفسه صاحب كتاب : " العلة " الذي يعتبر رائدا من رواد المدرسة النقدية المبكرة في الحديث .

ان من يطالع نتاج العرب والمسلمين في مجال التاريخ لا يملك الا النظر بالتقدير والاحترام لهؤلاء العباقره ، ويطأطىء رأسه خاشعا تعظيما لهذا الجهد الجبار . فلا نجد مجالا من مجالات المعرفة الانسانية الا ونال الاهتمام وافردت له المؤلفات ، فمن الفتوح الى الادارة الى الزراعة ، الى التواريخ المحلية والعالمية وحتى العشق افرد له ، ابن حزم (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) كتابا اسماه طوق الحمامة .

لقد أخذ على كثير من المؤلفات التاريخيه ذكرها لقصص خياليه واساطير خرافيه. وهذه ظاهرة موجوده عند كل الامم ، فالتراث اليوناني والروماني والهندي والصيني مليء بمثل هذه الاساطير .

وعذرنا اننا نجد في التراث العربي من نبه الى هذه الاغاليط واعاب على اصحابها ادخالها في تواريخهم .

وهذه الاساطير تتعلق بمعظمها بقصة الخلق وقصص الانبياء واخبار الامم السابقة ، تسربت الى العرب من الامم الاخرى وبخاصة الشرقيه ، كما لعب ابناء الديانات الاخرى الذين دخلوا الاسلام دورا كبيرا في انتشارها ، ووجدت هوى في نفوس العامه المياله لسماع المعجزات والاهوال ، ويعذر هؤلاء الذين ادخلوها كتاباتهم انهم لم يجدوا مصادر اخرى مبكرة تعارض هذا التيار .

ان من الظلم اجراء مقارنة تنافسيه بين مناهج التاريخ الحديثه وبين مدارس التاريخ العربي في العصور الاسلاميه لاننا نهمل عامل الزمن بهذه المقارنه . فلو قدر للثوره التاريخيه العربيه في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ان تستمر لكان لدينا الان مناهج ارفع مستوى من المناهج الحديثة ؟

ولهذا ادعو الزملاء المؤرخين في الوطن العربي ان يولوا تراثهم التاريخي عنايتهم ، وان يخصصوا في برامج الدراسات العليا مواد تختص بدراسة التراث التاريخي العربي وتوضيح مدى مساهمته في بناء اسس المدرسة التاريخيه المعاصره ، القائمة على المبدأ النقدي .